الباب الثاني

أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات وبيان معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات والأسس التي قام عليها، وطائفة من أقوال السلف وبيان أقسام الصفات، وأهم القواعد في باب الأسماء والصفات

الفصل الأول - وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول - أهمية معرفة الأسماء والصفات.

المبحث الثاني - بيان معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث - الأسس التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات.

المبحث الرابع - معنى قول أهل السنة من غير تحريف.

الفصل الثاني - وفيه طائفة من أقوال السلف.

الفصل الثالث - وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول - إثبات صفة الكمال لله سبحانه وتعالى من خلال سورة الإخلاص.

المبحث الثاني - تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية.

المبحث الثالث - أفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي.

المبحث الرابع - الفرق بين صفات الذات والفعل.

الفصل الرابع - وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول - في بعض الصفات الذاتية.

المبحث الثاني - في بعض الصفات الفعلية.

المبحث الثالث - في بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة.

المبحث الرابع - الله منزه عن كل صفة نقص.

الفصل الخامس - في بعض القواعد للأسماء والصفات.

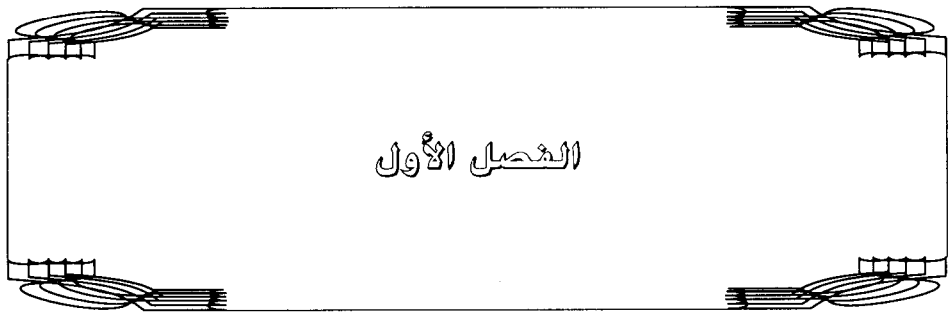

المبحث الأول

أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات

ضرورة من ضروريات التوحيد تدبر أسماء الله وصفاته وإعطاؤها الحق اللائق: «لأن تدبر أسماء الله وصفاته وفهمهما على مراد الله منها من أهم الأمور وأجلها، وذلك لما في هذا العمل من الفوائد العظيمة، والثمار النافعة، لذلك اشتغل علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وشرحها وإيضاحها، والرد على من أنكرها أو أنكر بعضها، وألفوا في ذلك مؤلفات عديدة»[1].

وهذا التوحيد هو شطر باب الإيمان بالله تعالى، والمعلوم عند الدارسين أن التوحيد نوعان:

التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

التوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجديد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربًّا وإلهاً ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص

---

(1) توضيح العقيدة للسعدي، ص (100).

والكافرون في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: 1]. فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائض والأمثال. وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: 1] المتضمنة للتوحيد العلمي والإرادي، وفيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلَّا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأن بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب، والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً[1].

وهذا العلم من أشرف العلوم وله الأهمية والأولوية في معرفته على سائر العلوم حتى يعرف العبد ربه من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

ويقول الشيخ ابن القيم - رحمه الله تعالى - في ذلك كلام نفيس: «وتوحيد الأسماء والصفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق، فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله من أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات»[2].

يقول ابن العربي المالكي رحمه الله: «شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف المعلومات»[3].

أولاً - وتوحيد الأسماء والصفات حياة القلوب. وللشيخ السعدي رحمه الله في أهمية هذا العلم كلام نفيس أيضاً، أنقل منه في بحثي هذا مع الاختصار للفائدة، قال الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى -: «إن هذا العلم المتعلق بالله تعالى من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه والبحث عنه اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب».

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، بتصرف (ص 35-36).
(2) مفتاح دار السعادة (1/ 86).
(3) أحكام القرآن العربي، (2/ 993).

ثانياً - إن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلَّا بمعرفة أسمائه وصفاته وفي فهم معانيها.

ثالثاً - إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له العبد، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيماً من كل وجه أن يكون جاهلاً بربه معرضاً عن معرفته.

ومعرفة العبد لربه طريقة لزيادة الإيمان، وذلك بالتدبر في صفاته وأسمائه من القرآن، والطريق في ذلك إذا مر به اسم من أسماء الله أن يثبت له ذلك المعنى وكمال عمومه وينزهه عما يضاد ذلك»[1].

وقد توسع السعدي - رحمه الله تعالى - في بيان أهمية هذا العلم فقال: «إن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلَّا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، ولذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلَّا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة، وهذا العلم أعظم وأشرف أن أبينه لوضوحه»[2].

● توحيد الأسماء والصفات من أعظم الضروريات:

إن النفوس لفي حاجة ملحة لمعرفة ربها ومليكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين، ولا صلاح لها ولا ذكاء إلَّا بمعرفة أسمائه وصفاته، وكلما كان العبد أعرف بأسماء ربه وصفاته وما يستحقه من صفات الكمال وما يتنزه عنه

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (1/ 24، 25، 26).
(2) تفسير السعدي (1/ 26).

مما يضاد ذلك، كان أعظم إيماناً واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته»[1].

قال الشيخ عمر الأشقر: «ومعرفة أسماء الله وصفاته التي تليق بجلاله وعظمته، يجدها العبد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[2].

ومن فوائد هذا العلم: «التعرف على الله سبحانه وتعالى، وتمجيده والثناء عليه بأسمائه وصفاته، ودعاؤه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته»[3].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: 180]

المبحث الثاني

بيان معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته

معتقد السلف في أسماء الله وصفاته هم أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفياً فهم بذلك:

يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

ويثبتون لله ﷻ ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فالسلف سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبل الإثبات

(1) المواهب الربانية للسعدي، بتصرف (61، 62).
(2) العقيدة في الله، لعمر الأشقر، (193/ 194).
(3) المصدر السابق.

فيجب بذلك إثباتها. وأما النفي فهو أن ينفي عن الله ﷻ كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي[1].

المبحث الثالث

الأسس التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

ارتكز معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية هي:

الأساس الأول - الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.

الأساس الثاني - تنزيه الله جلَّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث - قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات[2].

وهذه الأسس العظيمة مهمة جداً لطالب العلم، وبها تتفتح أبواب مغلقة للعبد في معرفة أسماء الله وصفاته، ومن خلالها يتميز عن أهل التعطيل، والله الهادي إلى صراطه المستقيم، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور: 40]

(1) انظر: دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات، للتميمي، ص (47).
(2) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص (25).

المبحث الرابع

معنى قول أهل السنة من غير تحريف ولا تعطيل وقولهم من غير تكييف ولا تمثيل

أولًا - معنى قولهم: «من غير تحريف ولا تعطيل»:

هذه العبارة فيها تمييز عقيدة أهل السنة عن عقيدة أهل التعطيل.

(أ) معنى التحريف وبيان أنواعه[1]:

التحريف في اللغة: التغيير والتبديل والإمالة.

فهو مأخوذ من قولهم حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

والتحريف شرعاً: الميل بالنصوص عن ما هي عليه، إمّا بالطعن فيها بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره[2].

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله[3].

◄ أنواع التحريف:

النوع الأول - تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن وجهته إلى غيرها وله أربعة صور:

1 - الزيادة في اللفظ.

---

(1) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص (50).

(2) الصواعق المرسلة، (1/ 215).

(3) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات ص (50).

2 - النقصان في اللفظ.

3 - تغيير حركة إعرابية.

4 - تغيير حركة غير إعرابية[1].

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [سورة النساء: 164]. في الرفع إلى النصب وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد فكيف تصنع بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف: 143]. فبهت المحرف.

النوع الثاني - تحريف المعنى:

وتعريفه: «هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ»[2].

◄ **ومن أمثلة تحريف المعنى:**

كقول المعطلة في معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: 5] استولى، وفي معنى المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر: 22]. وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيه وهم شيوخ المحرفين وسلفهم فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة، ولما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم،ثم سلك ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم القذة بالقذة، وكذلك الجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم اليهود[3].

---

(1) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات ص (51).

(2) الصواعق المرسلة (1/ 201).

(3) الصواعق المرسلة (1/ 215-216).

(ب) معنى التعطيل:

التعطيل لغة: مأخوذ من «العطل» الذي هو الخلو والفراغ والترك منه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [سورة الحج: 45]. أي أهملها أهلها وتركوا وردها[1].

◄ **والتعطيل من جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول - تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية والملاحدة.

القسم الثاني - تعطيل عبادته ﷻ، أي ما يجب له ﷻ على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ.

القسم الثالث - تعطيل صفات الله سبحانه ونفي كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله[2].

والقسم الثالث معناه نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى[3].

وقد وقع في التحريف والتعطيل طوائف يجمعهم أهل العلم تحت مسمى (المعطلة).

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول - الفلاسفة وهما صنفان:

الصنف الأول - أهل الفلسفة البحتة.

---

(1) شرح الواسطية ص (20).
(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (153).
(3) شرح الواسطية ص (20).

الصنف الثاني - أهل الفلسفة الباطنية وهي نوعان:

(أ) رافضية.

(ب) صوفية.

والقسم الثاني - من المعطلة هم: أهل الكلام وهم خمسة أصناف:

(أ) الجهمية.

(ب) المعتزلة.

(ج) الكلابية.

(د) الماتريدية[1].

ثانياً - معنى قولهم: ≪من غير تكييف ولا تمثيل≫:

هذه الجملة فيها تمييز عقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة «فالتكييف» هو: «جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل»[2].

ومعنى قول أهل السنة «من غير تكييف»: «أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد أنهم ينفون الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، والمقصود بالقول السابق، أي لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلَّا هو سبحانه»[3].

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته ﷻ لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك رحمه الله:

---

(1) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات ص (55).
(2) القواعد المثلى ص (27).
(3) شرح العقيدة الواسطية ص (21).

«الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، قاعدة ساروا عليها في هذا الباب»[1].

ولا تمثيل: المثيل لغة: هو الند والنظير.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين. وهو كقول الممثل له يد كيدي وسمع كسمعي تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة[2].

فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

ولكن التعبير هنا «التمثيل» أولى لموافقة لفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: 11]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل: 74].

وقد وقع في التمثيل والتكييف «المشبهة» الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق[3].

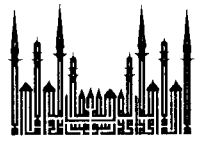

(1) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات، ص (57).
(2) انظر: القواعد المثلى، ص (27).
(3) انظر: منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات، ص (58).

الفصل الثاني

طائفة من أقوال السلف في الأسماء والصفات

وبعد أن أجملت معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات وبينت الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة إجمالاً، رأيت من المناسب في بحثي هذا، أن أذكر بعض أقوال علماء أهل السنة والجماعة على مر العصور، استرشاداً بها وتقوية للبحث، وإقناعاً لمن يرى غير طريق السلف وتخيرت أئمة من السابقين ومن نهج نهجهم من اللاحقين واتضح أن أقوال السلف عليها نور القرآن، ونور السنة، ونور الفطرة، ونور العقل الراجح الرزين الذي لا يتقدم على كتاب رب العالمين ولا سنة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فوجدت بحراً زاخراً، مليئاً بالعلم والحكمة، فتخيرت من أقوالهم ما ناسب بحثي، وقوّى حجتي، فيما أنا أصبو إليه وأتطلع إليه، وقع اختياري على الإمام الشافعي، وأحمد، وأبي بكر الآجري، وابن خزيمة، وابن تيمية، والخطيب البغدادي، والأصبهاني، والإمام ابن عبد البر، وابن القيم، وابن رجب الحنبلي وغيرهم قليل[1]، ومن المعاصرين: عبد الرحمٰن السعدي، وعبد المحسن العباد، وأسأل الله أن أكون قد وفقت للاختيار، وإليك أخي القارئ طائفة من أقوالهم في الصفحات القادمة.

قول الشافعي والإمام أحمد في الصفات

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: «آمنت بالله وبما

(1) كذا بالأصل، والصحيح «كثير».

جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، وعلى مراد رسول الله ﷺ»[1].

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا»[2]. وإن الله يُرى في القيامة. وما أشبه هذه الأحاديث.

نؤمن بها، ونصدق بها، لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها نعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية.

ونقول كما قال، ونصف[3] بما وصف به نفسه لا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلَّا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن[4].

قول الآجري - رحمه الله تعالى - في الصفات

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتابه الشريعة: «اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل: أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه كيف؟ بل التسليم به، والإيمان به»[5].

---

(1) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة (37).
(2) البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ج2، ص (66).
(3) كذا بالأصل، ولعلها «نصفه».
(4) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة (35).
(5) كتاب الشريعة للآجري، ص (277).

قول الشيخ إسماعيل الصابوني في الصفات

وقال الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني المتوفى (449): «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح، ونقله العدول الثقات ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها تكييف المشبه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنويه[1]، وتركوا العقول بالتعطيل والتشبيه، واكتفوا بنفي النقائص[2] بقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]. وبقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص: 4].

قول ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - في الصفات

نقلاً عن كتاب أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات للكرمي، قالت: «سئل الإمام ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات فقال: ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب أئمة الدين، مثل: مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون أصحابهم عن الخوض فيه، ويدلونهم على الكتاب والسنة»[3].

وأعجبني أثر نقله اللالكائي في كتابه العظيم المعروف بالسنة: أن أحمد بن حنبل سمع شخصاً يروي حديث النزول ويقول: «ينزل بغير حركة

(1) كذا بالأصل، ولعلها «التنزيه».
(2) نقلاً عن كتاب المنطق، لابن تيمية، ص (4).
(3) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، ص (62).

ولا انتقال، ولا تغير حال» فأنكر أحمد ذلك وقال: «قُلْ كما قال رسول الله ﷺ، فهو كان أغير على ربه منك»[1].

قول الخطيب البغدادي في الصفات

قال رحمه الله تعالى: «أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها من السنن والصحاح مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والقصد، إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه»[2].

قول الإمام ابن عبد البر

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلَّا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدُّون فيه صفة محصورة»[3].

قول الإمام إسماعيل الأصفهاني

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «جاءت الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله تعالى موافقة لكتاب الله تعالى، ونقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف وأنه ﷻ أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول ﷺ بها، فمن جحد

(1) السنة، للالكائي (3/ 452).
(2) سير أعلام النبلاء (18/ 283-284).
(3) التمهيد (7/ 145).

صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحداً، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك وصدق به المصطفى ﷺ، وبين مراد الله فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهوماً عند العرب غير محتاج إلى تأويله»[1].

مقتطفات من أقوال ابن تيمية في الأسماء والصفات

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «أما المتبعون للكتاب والسنة من الصحابة والتابعين فهم متفقون على دلالة ما جاء به الشرع في باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته»[2].

وقال في (منهاج السنة): «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، وإثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردٌّ على الممثلة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]. ردٌّ على المعطلة»[3].

وقال أيضاً: «وهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والذين بين الحدودية والمعتزلة

(1) الحجة في بيان المحجة (1/ 169).
(2) درء تعارض العقل والنقل (1/ 192).
(3) منهاج السنة (2/ 111).

وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج»[1].

قول ابن القيم في الصفات

قال - رحمه الله تعالى -: «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام - وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً - ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، ولم يحرفوها عن مواضعها ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحدة»[2].

قال ابن القيم في نونيته المشهورة:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولوا العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا ... في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفي العلو لفاطر الأكوان ... فوق جميع ذي الأكوان
كلا ولا عزل النصوص وإنها ... ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لا تفيدكم يقيناً لا ولا ... علماً فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندكم ينال بغيرها ... بزبالة الأفكار والأذهان[3]

وقال أيضاً ابن القيم رحمه الله: «انقضى عصر الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المطلق خاصًّا بما جاء في الكتاب والسنة عن

(1) الواسطية تحقيق الهراس ص (124).
(2) إعلام الموقعين (1/ 49).
(3) شرح القصيدة النونية، لابن القيم (2/ 152).

الذات الإلهية وصفاتها، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة النبوية كلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسعوها تأويلاً ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً[1].

قول ابن رجب في الصفات

قال رحمه الله تعالى: «والصواب ما عليه السلف الصالح من أمر آيات الصفات وأحاديثها، كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف، ولا تمثيل ولا يصح من أحد منهم خلاف ذلك البتة، خصوصاً الإمام أحمد، ولا خوض في معانيها، ولا ضرب مثل الأمثال لها، وإن كان بعض من كان قريباً من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئاً من ذلك فلا يقتدي بهم في ذلك، إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وأبي عبيد ونحوهم»[2].

قول عبد الباقي الحنبلي في الصفات

قال الشيخ عبد الباقي الحنبلي رحمه الله في كتابه (العين والأثر في عقائد أهل الأثر): «يحرم تأويل ما يتعلق به تعالى وتفسيره كآية الاستواء، وحديث النزول وغير ذلك من آيات الصفات، إلاَّ بصادر عن النبي ﷺ، أو بعض الصحابة، وهذا مذهب السلف قاطبة، فلا نقول في التنزيه كقولة المعطلة، بل نثبت ولا نحرف، ونصف ولا نكيف، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فمذهبنا حق بين باطلين، وهدى بين ضلالتين، وهو إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات»[3].

---

(1) إعلام الموقعين (1/ 49).

(2) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب، بتصرف ص (45، 46).

(3) العين والأثر في عقائد أهل الأثر. ص (35، 36).

قول حافظ أحمد الحكمي في الصفات

قال الشيخ - رحمه الله تعالى -: «وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال، من صفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بلا اشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها، ومما خبر به عن نفسه وأخبرها عنه رسوله ﷺ، ولم يشتق منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائه عن عباده المؤمنين، ورضي لهم الإسلام ديناً، وكراهته انبعاث المنافقين، وسخطه على الكافرين، وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالإنفاق وغير ذلك، مما هو ثابت بالكتاب والسنة والفطرة السليمة»[1].

وقال الشيخ حافظ الحكمي أبياتاً جميلة:

وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات
أو صح فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول[2].

وقال أيضاً:

نُمِرُها صريحةً كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى[3]

قول الشيخ السعدي في الأسماء والصفات

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعتقاد انفراد الرب جلَّ جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك

(1) معارج القبول (1/ 129).
(2) معارج القبول (ج1/ 346).
(3) معارج القبول (ج1/ 356).

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله»[1].

قول عبد المحسن العباد في هذا الباب

قال الشيخ عبد المحسن - حفظه الله -: «المذهب الحق وسط بين الطرفين في قضية الإثبات، فلا نفي ولا تأويل، وفيه التنزيه فلا تشبيه ولا تمثيل، وكل من المشبهة والنفاة جمعوا بين إساءة وإحسان».

فالمشبهة: أحسنوا إذ أثبتوا فلم ينفوا الصفات، وأساءوا إذ شبهوا ومثلوا.

وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الحسنيين وسلموا من الإساءتين، فإحسان الذي عند الطرفين عندهم، وليس عندهم ما عند كل من الإساءة وذلك أنهم أثبتوا ما أثبت في الكتاب والسنة من الصفات، ونزهوا الله عن مشابهة خلقه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]. فأول الآية تنزيه وآخرها إثبات.

«فمثل هذا المذهب الحق بالنسبة إلى الطرفين المتقابلين كاللبن السائغ الخالص السائغ للشاربين الذي يخرج من بين فرث ودم»[2].

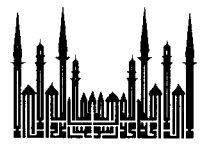

(1) القول السديد ص (15).

(2) عشرون حديثاً من صحيح مسلم (177-178).

الفصل الثالث

تفصيل الصفات الإلهية

المبحث الأول

إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى من خلال «سورة الإخلاص»

قد ورد في القرآن وصف الله بصفات الكمال وأنه المنفرد بها وحده دون ما سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

ففي هذه السورة وصف الله سبحانه نفسه بأنه أحدٌ صمد، فهذان الوصفان يدلان على اتصاف الله بغاية الكمال المطلق[1].

وذكر أبو هريرة رضي الله عنه في معنى الصمد: «أنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد»[2].

ومن خلال قول أبي هريرة رضي الله عنه في معنى الصمد يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه، أي: يرجع إليه في كل أمر، وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء، والفعال لما يريد، والذي بيده الخلق والأمر والجزاء، وما من قوة لغيره تعالى إلَّا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها، فالمرجع والمرد إليه سبحانه[3].

---

(1) علو الله على خلقه، بتصرف، ص (28).

(2) تفسير القرطبي (ج20/ 245).

(3) علو الله على خلقه، بتصرف، ص (28/ 29).

وأما التنزيه: فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء، فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده، فأنه الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم ولا في أفعاله فلا شريك له ولا ظهير»[1].

كما أن وصفه سبحانه بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق، فكذلك يدلان على معنى آخر وهو نفي الولادة والتولد عن الله سبحانه، فإن الصمد جاء في بعض الأقوال بأنه الذي لا جوف له، ولا أحشاء، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: 14].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات: 56 - 58].

فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة.

والتولد إنما يكون من شيئين:

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: 101].

وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص: 4].

وفي هذا نفي عن المخلوق مكافأته أو مماثلته للخالق ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: 1].

أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً ونظيراً.

---

(1) علو الله على خلقه، بتصرف، ص (28، 29).

ومثال هذا قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: 65]. أي لا شيء يساميه لا ند ولا عدل ولا نظير له يساويه، فأنكر التشبيه والتمثيل، وبهذا يتبين لنا أن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، كما دلت على ذلك سورة الإخلاص[1].

المبحث الثاني

تقسيم الصفات

تنقسم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية واختيارية.

وهذا المبحث يحتاج إلى نوع من التفصيل والشرح، فأقول: إن الصفات العقلية والخبرية: جاء بها القرآن وتحدثت بها السنة النبوية.

فالصفات العقلية: وهي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر. فالصفات العقلية: هي اتصافه بالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها»[2].

والصفات الخبرية: وهي التي لا يستطيع العقل إثباتها من غير طريق النص.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في إثبات الصفات عن طريق العقل فصَّلها وأجاد، وإليك ما قال - رحمه الله تعالى -:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتفق النظار من مثبتة الصفات على أنه يعلم بالعقل أن الله سبحانه وتعالى حي عليم قدير مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل، بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن إثباته

(1) علو الله على خلقه، للدرويش بتصرف، ص (28 إلى 34).
(2) علو الله على خلقه، بتصرف، ص (59، 60، 61).

بالعقل، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لهم مما يعلم بالعقل، كما أثبته بذلك الأئمة.

ويقول أيضاً: «إن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من أنصار السنة في هذا الباب، أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين لَلَزِمَ اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلاً فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها بالكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى»[1].

وأما الصفات الخبرية وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه، واليدين، والعين، والقدم، والاستواء على العرش، ونحو ذلك[2].

فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، ولا تكييف[3] كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11].

وقال نعيم بن حماد الخزاعي[4]: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهٌ»[5].

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام (3/ 88).
(2) علو الله على خلقه، بتصرف، ص (60).
(3) علو الله على خلقه ص (61).
(4) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي شديد الرد على الجهمية، ومن أعلم الناس بالفرائض، مات في السجن أيام محنة القول بخلق القرآن، (ت288هـ). وقيل تسع وعشرين، تهذيب التهذيب (1/ 458-460-462).
(5) العقيدة الواسطية، شرح الهراس (25).

الصفات الذاتية والفعلية والاختيارية

دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن صفات الباري سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين:

1 - **صفات ذاتية:** لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه والقدم[1] وغيرها.

2 - **صفات فعلية:** تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحت مشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو سبحانه لم يزل موصوفاً بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وإرادته، ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير[2].

المبحث الثالث

أفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي

وهذا المبحث لطيف في بيان أن أفعاله منها اللازم والمتعدي.

الاستواء والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول بل هي قائمة بالفعل.

---

(1) علو الله على خلقه، ص (65).

(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية (105-106).

والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول[1].

وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 59].

فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف بها سبحانه.

كما يجب التنبيه أيضاً إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي صفة ذات وصفة فعل ذلك مثل صفة الكلام، والخلق والرحمة[2].

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: 27]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: 11].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: 59].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة محمد: 28].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 31].

ومن الأحاديث ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط**»[3].

---

(1) علو الله على خلقه، ص (66).

(2) علو الله على خلقه، ص (66).

(3) صحيح البخاري (6/ 173) كتاب: التفسير، (سورة ق) باب قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: 30].

وحديث أبي هريرة قال: «أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» إلى أن قال: **فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[1].

ومذهب السلف هو إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية، بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل»[2].

المبحث الرابع

الفرق بين صفات الذات والفعل

السلف الصالح يفرقون بين صفات الفعل، فصفات الذات قديمة لا تتعلق بالمشيئة ولا ضد لها، أما صفات الفعل فهي تتعلق بالمشيئة وكان لها ضد كالرضى والغضب والمحبة[3].

وقد أكد الشيخ عبد الله بابطين رحمه الله على أن الصفات بين أهل السنة قسمان، وذلك في تعليقه على لوامع الأنوار البهية، فقال رحمه الله في تعليقه على قول السفاريني: «صفاته كذاته قديمة» ظاهره أن الصفات كلها قديمة كما صرح به في الشرح، وهذا فيه تفصيل، فإن المعروف بين أهل السنة أن صفات الله تعالى قسمان صفات ذاتية كالحياة والعلم، والقدرة، والوجه، واليدين، ونحوها فهذه صفات قديمة بلا ريب، إذ إنها صفات لازمة لله تعالى، وصفات

(1) صحيح البخاري (4/ 286) كتاب: التفسير، باب (ذرية من حملنا من نوح).
(2) علو الله على خلقه، ص (69).
(3) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات، للمغراوي، ج1، ص (117 إلى 118).

فعلية وهي تتعلق بمشيئته، وحكمته فإن اقتضت حكمته فعلها، وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن وهذا مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة، والكلام، والنزول والاستواء، وغير ذلك من صفات فهذا يكون قديم النوع أو الجنس، وإن كانت آحاده توجد شيئاً وحيناً آخر، ومن المعلوم أنه يوجد الفرق بين صفة الحياة والقدرة مثلاً، وبين صفة الاستواء، فإن الأول لا شك أن الله موصوف به أزلاً وأبداً - جلَّ وعلا - وأما الاستواء فلم يكن إلَّا بعد خلق العرش، وكذلك صفة نزوله إلى السماء الدنيا، وإن كانت الصفة الفعلية قديمة الجنس، فلم يزل الله تبارك وتعالى فعالاً لما يريد، فتنبه للفرق بينهما»[1].

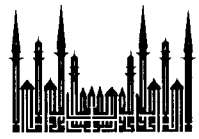

(1) لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية (1/ 112).

الفصل الرابع

بعض الصفات الذاتية وبعض الصفات الفعلية

المبحث الأول

في بعض الصفات الذاتية

● صفة الحياة:

قال البيهقي في إثباتها: «باب ما جاء في إثبات صفة الحياة[1]، ثم شرع في إيراد مجموعة من الآيات والأحاديث التي اشتملت على إثبات هذه الصفة، فأما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة: 255]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة غافر: 65].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان: 58].

وأما الأحاديث: فمنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول: **اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلاَّ أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[2].

ثم بين البيهقي رحمه الله: «إنه إذا أثبت أن الله موجود، ووصف بأنه حي، فقد وصف بزيادة صفة على الذات، وهي الحياة، لأن كل اسم يشتمل إثباته

---

(1) البيهقي وموقفه من الإلاهيات، ص (163).
(2) مسلم رقم (2717).

على إثبات الصفة التي يدل عليها، إذ لولا ذلك لاقتصر الله سبحانه وتعالى فيما سمى به نفسه على ما ينبئ عن وجود الذات فقط»[1].

● صفة العلم:

ثابتة في كتاب الله: وإليك آيات على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [سورة البقرة: 255].

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [سورة النساء: 166].

وقد ثبتت صفة العلم أيضاً بالسنة النبوية، فمنها:

في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وفيها: «وجاء عصفور فوقع على طرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلَّا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[2].

ونقر العصفور ليس بنقص للبحر، فكذلك علمنا لا ينقص من علمه شيئاً وهذا كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[3].

ويقول ابن خزيمة رحمه الله: في قوله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة القصص: 50].

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وأخبرنا جلَّ ثناؤه أنَّ أي أنثى لا تحمل ولا تضع إلَّا بعلمه فأضاف الله جلَّ وعلا إلى نفسه العلم الذي أخبرنا. فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علم مضاف إليه من صفات الذات، تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علواً كبيراً[4].

---

(1) البيهقي وموقفه من الإلاهيات، ص (163).

(2) مسلم (4/ 2847) رقم (2380).

(3) البيهقي وموقفه من الإلاهيات، ص (165).

(4) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، ص (10).

● إثبات صفة القدرة:

الآيات الدالة على ذلك معلومة، والأحاديث النبوية غير مجهولة، ومن الآيات الدالة على إثبات صفة القدرة: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة: 4]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 95].

ومن السنة المطهرة: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك...**»[1]. وأقوال السلف الصالح في إثباتها معلومة.

● إثبات صفة الإرادة:

وصفة الإرادة ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والآيات والأحاديث في بيانها كثيرة جداً، وإني سوف أقتصر على بعض الآيات الواضحة في ذلك: قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: 6]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: 185].

أمّا الأحاديث فمنها: حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[2].

والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية كثيرة جداً في إثبات الإرادة،

---

(1) البخاري، شرح فتح الباري، رقم (739)، ج13، ص (387).
(2) البخاري، شرح فتح الباري، رقم71 (1/ 197)، صحيح مسلم رقم 1037 (2/ 718).

والإرادة والمشئية بمعنى واحد، والإرادة التي بمعنى المشيئة هي الكونية، أما الإرادة الشرعية فتختلف عن الإرادة الكونية.

● إثبات صفة السمع والبصر

والآيات في إثبات صفتي السمع والبصر كثيرة، والأحاديث أيضاً، ولذلك نستدل ببعض الآيات، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: 56].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: 134].

وأمّا من السنة: فحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، لا نصعد شرفاً أو نعلو شرفاً، ولا نهبط في وادٍ إلّا رفعنا أصواتنا بالتكبير، فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: **أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم ما تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته...»**[1].

وحديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم**»[2].

والمعلوم والمقدر[3] عند أهل السنة أن السميع لا يكون إلاَّ بسمع، والبصير لا يكون إلَّا ببصر كما لا يكون القدير والحكيم إلَّا بقدرة وحكمة؛ لأن السميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه، وإذا كان صادراً عن المصدر، كانت الصفة مبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً، وهي الضارب، وإذا صح أنَّ السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع، فصح أن السميع لا يكون إلَّا بسمع.

---

(1) البخاري، شرح فتح الباري، حديث رقم 7386 (13/ 384).
(2) البخاري، كتاب: الأدب ب71، فتح الباري ج10، ص (527).
(3) كذا بالأصل ولعلها «المقرر».

والدليل على ذلك أيضاً: أنه إذا بطل السمع حصل الصمم، وإذا بطل البصر حصل العمى، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع، سميعاً أصم وبصيراً أعمى، كما تقول في القدير والعليم، فيبطل الصفات كلها، وتكون ألفاظاً لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفاته، تعالى الله عما يقول المعطلة علوًّا كبيراً[1].

والاستطراد الماضي استطراد عقلي في إقامة الحجة على من يزعم أنه من أهل العقول الراجحة، ومن خلال ما قلنا يتضح أن أرجح العقول في إقامة الحجة، واقتناع الخصوم: هم أهل السنة والجماعة يسترشدون بنور القرآن، وبنور سنة خير الأنام ﷺ، ثم بعد ذلك يستخدمون العقول فيها ولا يخالفون المنقول.

● إثبات صفة الكلام:

الكلام صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

◄ والأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: 253]. وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: 164].

◄ ومن السنة:

قول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي**»[2].

«وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو كلام حقيقي يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة»[3].

---

(1) الحجة في بيان المحجة، ج1، ص (137، 138).

(2) أخرجه البخاري معلقاً في صحيحه في فتح الباري (13/ 460) وصله ابن خزيمة في كتاب: التوحيد ص (146) وعبد الله بن أحمد في السنة (537).

(3) لمعة الاعتقاد، ص (72).

والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف: 143]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

وأجد نفسي مضطراً في صفة الكلام أن أتوسع قليلاً، وأقوي بحثي في هذه المسألة بنقولات من أئمة السلف رحمهم الله تعالى، ذكر ابن تيمية كلاماً نفيساً في هذه القضية قال: «فإن السلف وأئمة السنة والحديث يقولون إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة له قائمة بذاته».

وممن ذكر ذلك القول من أئمة السنة أبو عبد الله بن منده، وأبو عبد الله بن حامد، وأبو بكر عبد العزيز، وأبو إسماعيل الأنصاري وغيرهم، وكذلك أبو عمر ابن عبد البر نظير هذا.

وكذلك أئمة السنة: كعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان ابن سعيد الدارمي، ومن لا يُحصى من الأئمة وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني، عن سعيد بن منصور، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم وسائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء، وكيف شاء[1].

ويعتقد السلف أن الله تعالى من صفاته صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداء لاتصافه بها، ولا انتهاء، يتكلم بها بمشيئته واختياره وكلامه تعالى أحسن الكلام، ولا يشابه كلام المخلوقين، وإذاً[2] الخالق لا يقاس بالمخلوق، ويكلم به من شاء، وبغيرها ويُسمِعُه على الحقيقة من شاء من ملائكته، ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى، كما أن كلامه تعالى لا يشبه كلام المخلوقين فإن صوته لا يشبه أصواتهم، وكلماته تعالى لا

(1) جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الثانية، ص (4، 5).
(2) كذا بالأصل ولعلها «إنَّ».

نهاية لها ومن كلامه القرآن، والتوراة والإنجيل، فالقرآن كلامه، سوره وآياته وكلماته[1].

◄ القرآن كلام الله:

والقرآن من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؛ فهو كلام الله حروفه معانيه: والدليل أنّه كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: 6].

والقرآن منزل من عند الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان: 1].

والقرآن غير مخلوق: والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: 54].

فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى: 52]. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة الطلاق: 5].

ولأن كلام الله صفة من صفاته غير مخلوقة، ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلّا من قاله مبتدئاً، ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الأحاديث: «أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان»[2].

وقال ابن جرير الطبري في صريح السنة: «القرآن كلام الله وتنزيله، وإذا كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق»[3].

---

(1) من كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية بتصرف، عبد الله يوسف البديع، ص(63).
(2) لمعة الاعتقاد، بتصرف (78، 79).
(3) صريح السنة، ص (18).

وقال الشيخ علاء الدين بن العطار: «القرآن كلام الله وكتابه، وخطابه، وتنزيله، وغير مخلوق، من قال بخلقه فقد كفر، إذ هو من صفاته»[1].

◄ علو الله على خلقه:

إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون ذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلَّا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته[2].

◄ أمّا الآيات الدالة على علو الله على خلقه:

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك: 16]. وقال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [سورة المعارج: 4]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام: 18].

◄ أما الأحاديث في ذلك منها:

قول الرسول ﷺ: «**ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء**»[3].

والإجماع في علو الله على خلقه معروف نقله السعدي في توضيح الكافية الشافية»[4].

وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية أقربه قرب المدينة فيها جارية لي، فأطلقتها ذات يوم، فإذا ذئب قد

(1) الاعتقاد الخالص من الشك، ص (35).
(2) إثبات صفة العلو للمقدسي، ص (63).
(3) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (655).
(4) توضيح الكافية الشافية، ص (69).

ذهب منها بشاة، وأنا من بني آدم آسف كما يأسفون، فرفعت يدي فصككتها صكة، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك، فعظم ذلك، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ادعها**» فدعوتها، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**»، قالت: أنت رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].

◄ **أما أقوال السلف:**

قول ابن تيمية حيث قال: «إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين، بل سائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات علو الله على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأضاف[2] من العبادات، وتارة يخبر أنه خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع، وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها، وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، واستدل بآيات وأحاديث كثيرة في ذلك»[3].

◄ **معنى كون الله في السماء:**

أي أن الله تعالى على السماء، ففي بمعنى على، وليست للظرفية، لأن السماء لا تحيط بالله أو أنه في العلو، فالسماء بمعنى العلو، وليس المراد بها السماء المبنية[4].

◄ **إثبات معيته وقربه مع كمال علوه وفوقيته:**

وصف الله نفسه بالمعية في آيات كثيرة وهي نوعان عامة وخاصة:

فالعامة كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

(1) مسلم، كتاب المساجد (537، 1/ 382).
(2) كذا بالأصل ولعلها «أصناف».
(3) مجموعة الرسائل والمسائل (1/ 200).
(4) لمعة الاعتقاد، ص (68).

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد: 4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: 7].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [سورة النساء: 108].

والمعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: 128]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه: 46].

وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 249].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد: 35].

◄ ولكل معية اختصاص:

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريقة العموم كان معنى ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وهذا هو قول السلف في المعية العامة كما يتضح ذلك من أقوالهم.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة المجادلة: 7]. ابتدأ الله ﷻ الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه ﷻ محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا هو قول المسلمين[1].

(1) الشريعة للآجري، ص (287).

والمعية الخاصة معناها أنه معهم بالنصرة والتأييد والمعونة كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد: 35].

في النصر لكم على عدوكم[1].

◄ لا تنافي بين علوه وقربه:

دلت على ذلك النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 186].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [سورة هود: 61].

◄ ومن السنة:

حديث أبي موسى قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: **أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً معكم**» وفي لفظ: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[2].

«ومذهب السلف في هذا أنه سبحانه وتعالى يقرب ويدنو من بعض خلقه كيف يشاء، وأن ذلك لا يستلزم خلو العرش من ذاته، بل هو فوق العرش، ودنوه كنزوله، فكما أنه ينزل ولا يخلو منه العرش فكذلك يقرب من بعض خلقه كيف يشاء وكما يشاء، من غير خلو العرش منه تعالى»[3].

---

(1) الرد على الجهمية والزنادقة (140).

(2) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت في الدعاء (4/ 2076-2077).

(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (5/ 406).

«وقربه الذي هو من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل بهم عالماً ولم يزل عليهم قادراً»[1]

◄ إثبات صفة الوجه:

ومن صفات الله تعالى صفة الوجه وهي صفة ذاتية، والأدلة على هذه الصفات كثيرة من القرآن والسنة.

◄ أما أدلة القرآن:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: 27].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: 88].

◄ ومن السنة:

حديث أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»[2].

وقول النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلَّا أجرت عليها**»[3].

«أجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله»[4].

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (6/ 13).

(2) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان باب: قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام» (1/ 161-162).

(3) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: رثاء سعد بن خولة، ج2، ص (103).

(4) لمعة الاعتقاد، ص (48).

◄ إثبات صفة اليدين:

والآيات في إثبات صفة اليدين لله واضحة، وكذلك الأحاديث النبوية وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: 64].

قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: 75].

◄ والأدلة من السنة:

قول النبي ﷺ: «**إن القسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، والذين يعدلون في أهلهم، وحكمهم، وما ولوا**»[1].

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله عز وجل السمٰوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك...**»[2].

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يلقيان به[3].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة اليد والإفراد، والتثنية والجمع، ففي الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك: 1].

وفي التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: 64].

وفي الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [سورة يس: 71].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد

---

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الإمام العادل (3/ 1458).

(2) صحيح مسلم، كتاب: صفة المنافقين، باب: صفة القيامة (4/ 1248)، رقم الحديث (2788).

(3) انظر: لمعة الاعتقاد، ص (49).

الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي الثنتين على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً[1].

◄ إثبات أصبعين من أصابع الرحمن:

وهذا ثابت بحديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف شاء**»[2].

◄ إثبات صفة اليمين والقبض:

وهي ثابتة بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله جلَّ اسمه: يا بن آدم أنفق، أنفق عليك، إن يمين الله ملأى لا يغيضها[3] نفقة، سحَّاء الليل والنهار**»[4].

أما القبض فحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض**»[5].

◄ إثبات صفة العين:

وإثبات صفة العين على ما يليق بالله تعالى: ولا يفهم منها أن العين لله جارحة كأعيننا، بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقِدمَه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق[6].

---

(1) لمعة الاعتقاد، ص (50).

(2) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب: تصريف الله تعالى للقلوب كيف يشاء (4/ 2045) رقم الحديث (2654).

(3) لا يغيضها: لا ينقصها.

(4) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، سورة هود، رقم الحديث (4684)، انظر: الفتح (8/ 352).

(5) ابن خزيمة في كتاب التوحيد، ص (64).

(6) الصفات الإلهية، ص (319).

والعين صفة لله تعالى بلا كيف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، والأدلة من الكتاب على صفة العين.

قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [سورة طه: 39].

وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط، لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم: 34، النحل: 18].

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة القمر: 14]. وهنا ذكرت بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع.

◄ وأما السنة:

في قصة المسيح الدجال في حديث عبد الله بن عمر الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية**»[1].

● إثبات صفة الساق للَّه تعالى:

◄ دليل ثبوت الساق:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**فيكشف عن ساقه عز وجل فيسجد له كل مؤمن**»[2].

هذا حديث صحيح يثبت لله عز وجل الساق وأنها علامة بينه وبين عباده المؤمنين يوم القيامة، فإذا كشف عنها خرَّ كل مؤمن ساجداً لله.

وهي تليق به سبحانه وتعالى ونثبتها بدون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تشبيه.

---

(1) البخاري، كتاب: الفتن، باب: ذكر الدجال (13/ 92)، مسلم، في باب: ذكر الدجال ج18، ص (59: 60) شرح النووي.

(2) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج (13/ 431) كتاب: التوحيد، باب «وجوه يومئذٍ» رقم الحديث (7439).

● إثبات الرِّجل والقدم لربنا جلَّ شأنه:

والرجل والقدم ثابتة لربنا جلَّ شأنه، والدليل على ذلك حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول: «هل من مزيد» حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط[1]، قط، وينزوي[2] بعضها على بعض**»[3].

وللسلف أقوال في كون الكرسي موضع قدمه جلَّ شأنه.

قال ابن أبي مالك[4]: «الكرسي تحت العرش، والله واضع رجليه على الكرسي»[5].

● إثبات صفة النَّفْسِ:

صفة النَّفْسِ ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

◄ **أما الأدلة من كتاب الله:**

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: 54]. وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [سورة المائدة: 116].

◄ **وأما السنة:**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله أنا مع عبدي حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»[6]. وقال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب**

---

(1) معنى (قط): حَسْب، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (4/ 79).

(2) ينزوي: أي ينضم، وينقبض، ويجتمع.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب قوله: «وتقول: هل من مزيد» (8/ 241-242).

(4) هو عزوان بن مالك الغفاري، مشهور بكنيته، كوفي، روى عن ابن عباس، تقريب التهذيب (273).

(5) السنة لأبي عبد الله أحمد، ص (70).

(6) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] برقم (7405) انظر: الفتح (13/ 384).

في كتابه على نفسه - فهو موضوع عنده - إن رحمتي سبقت غضبي»[1]. وقال النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، مداد كلماته**»[2].

فالله جلَّ وعلا أثبت في كتابه أن له نفساً وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ: «أن له نفساً، كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآيات وهذه السنن وغير ذلك من الأحاديث»[3].

وأجمع السلف على إثباتها على الوجه اللائق به[4].

المبحث الثاني

في بعض الصفات الفعلية

● إثبات استواء الله على عرشه:

وهذه المسألة من المسائل المهمة جداً وواجب على طالب العلم أن يعرف فيها حكم الله وأعجبني كلام لابن القيم نسبه إلى ابن تيمية في هذا الموضوع فقال: «وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش، وفوق السمٰوات مستوٍ على عرشه»[5].

---

(1) رواه البخاري ج4، ص (223).
(2) مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم (26-27).
(3) كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ص (8).
(4) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص (51).
(5) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص (96).

◄ أما الأدلة من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 54].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الفرقان: 58 - 59].

◄ أما الأدلة من السنة:

فمنها قصة المعراج وهي متواترة وتجاوز النبي ﷺ السمٰوات، سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى ينزل من عند ربه إلى عند موسى فيسأله كم فرض عليه فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف[1].

● أقوال علماء السلف:

ذكر ابن تيمية في كتابه شرح حديث النزول: «أن مالك بن أنس سئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه: 5].

فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلَّا ضالاً، وأمر أن يخرج من المجلس».

وروى بإسناده الثابت عن عبد الله بن المبارك أنه قال: «تعرف[2] ربنا بأنه فوق سبع سمٰواته بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية بأنه ها هنا، وأشار بيده إلى الأرض»[3].

---

(1) صحيح مسلم ج1، كتاب: الإيمان باب: (44)، حديث (259)، ص (146).
(2) كذا بالأصل والصواب «نعرف».
(3) شرح حديث النزول، لابن تيمية، ص (5).

«وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى»[1].

تعليق لطيف على القاعدة المالكية في الاستواء

في قول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وتعليق لطيف لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: فقد أخبر ﷺ بأن نفس الاستواء معلوم، وأن كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول أهل الإثبات.. ثم قال: وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وأنه معلوم، وأن له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن، ولهذا يدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية.

فإن السؤال[2] إنما أمره معلوم لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلوماً له كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا[3].

وأكثر من صرح بأن الله مستوٍ بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد ابن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة. وفي كتاب جامع النوادر، وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكياً، وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسماء الحسنى، وكذلك أبو عمر ابن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين، وغير ذلك من السادة المالكية[4].

---

(1) لمعة الاعتقاد الهدي إلى سبيل الرشاد، ص (62).
(2) كذا بالأصل والصواب «الاستواء» فتأمل.
(3) القاعدة المراكشية، ص (58).
(4) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (2/ 134).

● صفة المنزول:

هي صفة ثابتة لله بالسنة وإجماع السلف.

◄ أما السنة:

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[1].

وللإمام الدارمي عثمان بن سعيد كلام نفيس في الرد على بشر المريسي العنيد. قال الشيخ الدارمي رحمه الله: «فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش وبكل مكان، من غير زوال لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول».

فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان فما بال النبي ﷺ يحدد لنزوله الليل دون النهار، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار، فبرحمته وأمره يدعو العباد إلى الاستغفار، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه؟ فيقولان: هل من داع فأجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟فإن قدرت مذهبك لزمك أن تدعو الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما، دون الله، وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون[2].

وأجمع السلف على ثبوت النزول فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله تعالى[3].

---

(1) مسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، (2/ 175-176).

(2) رد الدارمي على بشر المريسي العنيد، ص (20).

(3) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص (58).

● **إثبات صفة المجيء:**

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت في القرآن والسنة وإجماع السلف.

◄ **والأدلة من الكتاب:**

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: 22].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: 210].

◄ **ومن السنة:**

قول النبي ﷺ: «**حتى إذا لم يبق إلَّا من يعبد الله أتاهم ربُّ العالمين**»[1].

◄ **والإجماع معلوم:**

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيءٌ حقيقةً يليق بالله تعالى[2].

● **إثبات صفة الرضا:**

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

وأما من الكتاب قال تعالى عن المؤمنين: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة: 119].

◄ **أما من السنة:**

قال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[3].

---

(1) البخاري: فتح الباري، كتاب: التوحيد باب: قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: 22] (7439) ج13/ 431.

(2) لمعة الاعتقاد، ص (52).

(3) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله بعد الأكل والشرب، ج4/ 2095 رقم الحديث (2734).

أجمع السلف على إثبات صفة الرضى لله تعالى، فنثبتها له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى[1].

◄ صفة المحبة:

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

◄ والدليل من الكتاب:

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: 54].

◄ ومن السنة:

قال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[2].

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[3].

● **إثبات صفة الغضب:**

الغضب من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

◄ وأدلة الكتاب هي:

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [سورة النساء: 93].

◄ ومن السنة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**»[4].

---

(1) لمعة الاعتقاد، ص (53).

(2) البخاري، فتح الباري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (7/ 544 رقم الحديث 4210).

(3) لمعة الاعتقاد لابن قدامة، ص (54).

(4) مسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله، (2751)، (14) من حديث أبي هريرة ج (4/ 2107).

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو غضب حقيقي يليق بالله[1].

● **إثبات صفة السخط:**

والسخط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [سورة محمد: 28].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»[2].

وأجمع السلف على ثبوت صفة السخط لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو سخط حقيقي يليق بالله[3].

● **إثبات صفة الضحك:**

من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف من الأمة.

قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة...**»، وتمام الحديث: «**يقاتل في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[4].

أجمع السلف على إثبات صفة الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[5].

---

(1) لمعة الاعتقاد، ص (55).

(2) مسلم: كتاب الصلاة، باب: ما يقال في السجود والركوع، رقم (486) (ج1/ 352) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) لمعة الاعتقاد، ص (56).

(4) البخاري: كتاب الجهاد، باب: كافر يقتل المسلم ثم يسلم، رقم (2826)، (ج6/ 47).

(5) لمعة الاعتقاد، ص (61).

● إثبات صفة العجب:

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [سورة الصافات: 12].

◄ وفي السنة:

حديث أبي هريرة في حديث الضيف: «لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة فأنزل ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: 9]»[1].

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو عجب حقيقي يليق بالله سبحانه وتعالى[2].

● إثبات صفة الكراهة:

الكراهة من الله لمن يستحقونها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

◄ أما من الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [سورة التوبة: 46].

◄ أما من السنة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله كره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[3].

---

(1) البخاري، فتح الباري، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). (ج8/ 500).

(2) لمعة الاعتقاد، ص (59).

(3) البخاري، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم (5975) (ج10/ 419).

أجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي كراهية من الله حقيقة تليق به[1].

● إثبات صفة الفرح:

صفة الفرح ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول، قال ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**»، وفي رواية مسلم: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فيأس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد يئس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذها بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللَّهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[2].

وهذه الصفة الثابتة بنص الحديث بدون تأويل ولا تشبيه، ومعنى الفرح معلوم والكيف مجهول، والبحث عن الكيفية غير طريق السلف، والإيمان بها من مستلزمات الدين.

● إثبات صفة الغيرة لربنا جلَّ شأنه:

هي ثابتة بنص حديث رسول الله ﷺ، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حُرم عليه**»[3].

(1) لمعة الاعتقاد، ص (57).
(2) مسلم، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، (ج4/ 2102).
(3) مسلم (4/ 2114) رقم الحديث (2761).

المبحث الثالث

بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة

ورد في القرآن أفعال أطلقها الله ﷻ على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، ولكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء: 142].

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 54].

وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: 67].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [سورة البقرة: 14 - 15].

فلا يطلق على الله لفظ مخادع، ماكر، ناسٍ، مستهزىء، ونحو ذلك، تعالى الله عنه علواً كبيراً، ولا يقال: الله يستهزىء، ويخادع، ويمكر، وينسى، على سبيل الإطلاق، وقد أخطأ الذين عدوا ذلك من أسمائه الحسنى خطأ كبيراً، لأن الخداع والمكر يكون مدحاً ويكون ذماً، فلا يجوز أن يطلق على الله إلَّا مقيداً بما يزيل الاحتمال المذموم منه كما ورد مقيداً في الآيات[1].

المبحث الرابع

الله ينزه عن كل صفة نقص

وهذا المبحث من بديهيات العقول، وأصحاب الفطرة السليمة يقدرونه، ووردت الآيات والأحاديث التي تبين ذلك، ولعظمة الفائدة فيه أقول وبالله التوفيق:

---

(1) معارج القبول (ج1، ص 76).

إن الله ينزه عن كل صفة نقص.

فينزه الله ﷻ عن الغفلة والنسيان بأي وجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب والشهادة، وعلمه محيط بكل شيء فلا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خفاء بعض المعلومات أو نسيانه، والذهول عنها، قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [سورة طه: 52].

ومنزه عن الاحتياج إلى الرزق والطعام، لأنه هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء إليه.

قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات: 56 - 58].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام: 14].

والله منزه عن الظلم للعباد بأن يزيد في سيئاتهم أو ينقص من حسناتهم أو يعاقبهم على ما لم يفعلوا، فإن الظلم لا يفعله إلَّا من هو محتاج إليه أو من هو موصوف بالجور، أما الله الغني عن خلقه من جميع الوجوه الحكم العدل الحميد، فما له وظلم العباد؟ قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: 46]. والله منزه عن العبث في الخلق والأمر فلم يخلق سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً ولا باطلاً، ولا شرع إلَّا حكمة عظيمة، لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحمده إتقان المصنوعات وإحكامها وإحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه[1].

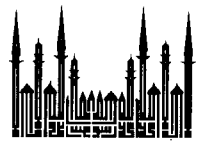

(1) الحق الواضح المبين لابن سعدي، ص (10).

الفصل الخامس

في بعض القواعد للأسماء والصفات

أهمية معرفة القواعد للعلوم معلومة الأهمية عند العلماء:

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن معرفة القواعد وإتقانها من أهم العلوم وأعظمها فائدة، وذلك أن القواعد يسهل حفظها، فإذا حفظت وفهمت يمكن التفريع عليها، ولهذه الأسباب الوجيهة اهتم العلماء بتقعيد القواعد في كل نوع من أنواع العلوم، وليس هنالك صنف إلَّا تجد له أصولاً وقواعد تساعد على حفظ هذا الصنف من العلوم الذي قعدت له تلك القواعد.

إن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار لا ثبات لها إلَّا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتقوى بالأصول، والقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماءً مطرداً، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها ولها من الفوائد الكثيرة غير ما ذكرنا[1].

ولذلك اعتنى العلماء بوضع القواعد في جميع الفنون، وليس هناك فن إلَّا وتجد له قواعد وأصولاً كثيرة تنتهج[2].

● القاعدة الأولى:

وجوب تقديم السمع على العقل في معرفة أسماء الله وصفاته:

---

(1) طريق الوصول، للسعدي، بتصرف، ص (4).

(2) عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في خدمة العقيدة للعباد، ص (112).

إن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته يجب فيها تقديم السمع على العقل.

قال الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ بلفظ خاص والمراد به العام: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد: 19].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: 106]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: 25].

فأخبر الله نبيه في هذه الآية أنه بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد[1].

قال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ: 50].

وكذلك معرفة الرسل وجوبها بالسمع، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: 15].

فدل على أن معرفة الله والرسل كما أخبر الله ﷻ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة[2].

● القاعدة الثانية:

(الأدلة التي نثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما).

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع:

فمنه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: 155]. وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ

(1) شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (1/ 193).
(2) انظر: أصول اعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة، للالكائي (1/ 196).

بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: 158]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: 7]. والسنة شارحة مبينة للقرآن.

والدليل العقلي:

من المعلوم أن تفصيل القول فيما يمتنع أو يجب أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، يجب الرجوع فيها إلى ما جاء في الكتاب والسنة. قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنحن نقول كما قال الله تعالى، وكما قال رسوله ولا نتجاهل».

ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكنا لا نقول كيف، والله وضع عنا أن نفكر كيف كان، وكيف قدر، وكيف خلق، ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا»[1]. ونقتصر على جملة ما قال الله ونمسك عما لم يقل[2].

● **القاعدة الثالثة:**

(الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف ولا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها ودليل ذلك السمع والعقل).

أما السمع: فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: 193 - 195]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: 2].

وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلَّا أن يمنع منه دليل شرعي. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الزخرف: 3].

---

(1) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (134).
(2) انظر: عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (139).

وأما العقل:

لأن المتكلم بهذه الآيات أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلَّا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ ولا نُزيل اللفظ عما تعرفه العرب ونضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك»[1].

● **القاعدة الرابعة:**

(ظواهر النصوص معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، باعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة)[2].

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

دليل السمع: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: 29]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 44].

والتدبر لا يكون إلَّا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه. وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل: فلأنه من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب، وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهولة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: 1].

---

(1) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (139).

(2) القواعد المثلى، ص (24).

● القاعدة الخامسة:

(ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه)[1].

فلفظ: «القرية» مثلاً يُراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارةً أخرى.

فمن الأول - قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [سورة الإسراء: 58].

ومن الثاني - قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [سورة العنكبوت: 31].

ونقول: صنعت هذا بيدي فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص: 75]. لأن اليد في المثال الأول أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس»[2].

● القاعدة السادسة:

(صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك).

وقد دلَّ على هذا السمع والعقل والفطرة[3].

---

(1) القواعد المثلى، ص (36).
(2) القواعد المثلى، ص (37).
(3) القواعد المثلى، ص (18).

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة النحل: 60]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم: 27].

والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن يكون له صفة، إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز.

فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: 5].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النحل: 20 - 21].

ومن دلائل الفطرة: أن الخلق مفطورون على كون الخالق سبحانه وتعالى أجل وأكبر وأعلى وأعظم، وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فطر الناس، وهو ضروري في حق من سلمت فطرته، فدلالة الفطرة على الصفات واضحة وبينة، فإن كل حادث لا بد له من محدث، وهذا المحدث لا بد أن يكون قادراً، عالماً، مريداً، حكيماً: فالفعل يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة، وفي الفطرة الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق، والذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه، وكذلك في الفطرة تنزيه الله عن النقائص والعيوب.

ومن القضايا البديهية المستقرة في الفطرة أن الذي يعلم والذي يقدر والذي يتكلم ويبصر أكمل من العادم لذلك، ولهذا يذكر الله تعالى هذه المسألة بخطاب الاستفهام الإنكاري، ليبين أنها مستقرة في الفطرة، وأن النافي لها قال قولاً منكراً في الفطرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 17].

فالتسوية منكرة في الفطرة وينكر ذلك على من سوى بينهما.

فالذي ليست لديه صفات الكمال، لا يمكن أن يكون رباً، ولا معبوداً، وإن العلم بذلك فطري، كما قال الخليل: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة مريم: 42].

وقال تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 148].

● القاعدة السابعة:

(صفات الله تنقسم إلى ثبوتية وسلبية).

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين.

فيجب إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به[1] دليل السمع والعقل.

أما دليل السمع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: 136].

أما العقل: لأن الله أخبر بها عن نفسه وهو أعلم من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من غيره فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد.

أما الصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب، فيجب نفيها عن الله لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، لأن النفي ليس بكمال إلَّا أن يتضمن ما يدل على الكمال[2]

(1) القواعد المثلى، ص (21).
(2) القواعد المثلى، ص (23).

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان: 58]. فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: 49]. فنفي الظلم يتضمن كمال عدله.

● القاعدة الثامنة:

(الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها، وما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم)[1].

أمّا الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلَّا في الأحوال التالية:

الأولى - بيان عموم كماله لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]. وقال أيضاً: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص: 4].

الثانية - نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون: قال تعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة مريم: 91 - 92].

الثالثة - دفع توهم نقص من كمال فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [سورة الدخان: 38].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [سورة ق: 38].

● القاعدة التاسعة:

(صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلَّا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه)[2].

---

(1) القواعد المثلى، ص (24).

(2) القواعد المثلى، ص (28).

الأول - التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها.

الثاني - تضمن الاسم لها مثل: الغفور متضمن للمغفرة والسميع متضمن للسمع وهكذا.

الثالث - التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين الدال عليها الترتيب التالي[1]:

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: 5].

وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [سورة الفجر: 22].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [سورة السجدة: 22].

● القاعدة العاشرة:

(إن الصفات ثلاثة أنواع صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً وهو ما يكون كمالاً ونفعاً باعتبارين، والرب منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله)[3].

● القاعدة الحادية عشرة:

(وصفات الأفعال متعلقة وصادرة عن ثلاث صفات وهي: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها بالله والله

---

(1) القواعد المثلى، ص (29).

(2) مسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، (2/ 175، 176).

(3) بدائع الفوائد لابن القيم، ص (168).

متصف بها، وآثارها ومقتضياتها وجميع ما يصدر عنها في الكون كله من التقديم والتأخير والنفع والضر والعطاء والحرمان والخفض والرفع، ولا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينيها ولا دنيويها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال)[1].

● القاعدة الثانية عشرة:

(المضافات إلى الله إذا كانت أعياناً فهي من جملة المخلوقات وإذا كانت أوصافاً فهي من صفات الله)[2].

والذي يضيفه الله إلى نفسه، إما أعيان يخصصها بهذه الإضافة المقتضية للاختصاص والتشريف مثل عبد الله وناقة الله، وبيت الله ومثله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الفرقان: 63].

فهذه أعيان قائمة بأنفسها وهي من جملة المخلوقات لكنها أضافها لنفسه تفضيلاً لها على غيرها وتعظيماً، وإما إضافة أوصاف كعلم الله وقدرته وإرادته وكذلك كلامه وحياته، فهذه الإضافة تقتضي قيامها بالله وأنه موصوف بها، وكذلك ما أخبر أنه منه[3].

فإن كان أعياناً كروح منه ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [سورة الجاثية: 13]. فهذه منه خلقاً وتقديراً.

● القاعدة الثالثة عشرة:

(في الألفاظ الموهمة حق وباطل).

الصفات التي وردت في الكتاب والسنة حق يجب الإيمان بها وإن لم نفقه معناها، أما ما يطلقه الناس على الله سبحانه مما لم يرد في الكتاب والسنة مما يتنازع فيه الناس فلا نثبته ولا ننفيه حتى نبين مراد قائله منه.

---

(1) توضيح الكافية الشافية، ص (131، 132).
(2) توضيح الكافية الشافية،
(3) توضيح الكافية الشافية، ص (31).

فمثلاً لفظ الجهة يقال لمن نفى الجهة، ماذا تعني بالجهة؟ إن كنت تعني أن الله في داخل جرم السماء، وأن السماء تحويه فلا يجوز أن نقول: إن الله في جهة، وإن كان المراد: أن الله في جهة أي فوق مخلوقاته، فوق السمٰوات فهذا حق، وكذلك التحيز إن كان المراد أن الله تحوزه المخلوقات، فهذا باطل قطعاً وإن أراد منحاز عن المخلوقات أي مباين لها فهذا حق[1].

● القاعدة الرابعة عشرة:

(أسماء الله الحسنى كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح وثناء).

معنى ذلك أن أسماء الله ليست أعلاماً محضة لا تدل على معاني كما يقول ذلك المعتزلة، فالمعتزلة أثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، فمنهم من جعل العليم القدير والسميع البصير كالأعلام قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات[2].

● القاعدة الخامسة عشرة:

(القول في الصفات كالقول في الذات).

ذلك أن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات[3].

قد بين هذه القاعدة الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «فإن زعموا أن إثبات الصفات يدل على التشبيه بخلقه، قيل: الكلام على الصفات يتبع الكلام على

(1) الفتاوى (3/ 41).
(2) الرسالة التدمرية (13).
(3) التدمرية، لابن تيمية (15).

الذات، فكما أن الله ذاتاً لا تشبه الذوات فله صفات لا تشبهها الصفات، تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه»[1].

● القاعدة السادسة عشرة:

(القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر).

وهي قاعدة يرد بها على من فرق بين الصفات فأثبت بعضها ونفى البعض أو أثبت الأسماء دون الصفات، فمثلاً الذي ينازع في محبة الله ورضاه فيجعلها مجازاً ويفسرها بالإرادة يقال له: لا فرق بين ما نفيته وما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قال له: إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، يقال له: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به.

وهذا يقال في سائر الصفات لمن فرق بينهما وهؤلاء الذين فرقوا بين الصفات فأثبتوا بعضها ونفوا الآخر، فروا من شيء ووقعوا في شر منه ولو أنهم ساروا في الصفات على منهج واحد فأثبتوها جميعاً على الوجه اللائق بالله لسلموا[2].

● القاعدة السابعة عشرة:

(من أسماء الله ما يكون دالاً على عدة صفات).

إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً كجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه كاسمه العظيم والمجيد والصمد، وقد وضح ابن عباس في تفسيره للصمد فقال: السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم

(1) طريق الوصول، ص (6)، التفسير (1/ 257).
(2) انظر: الرسالة التدمرية (6، 11) وما بعدها.

الذي كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه الواحد القهار هذا لفظه. وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسر بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم فمن لم يحط بهذا العلم بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبر[1].

● القاعدة الثامنة عشرة:

(إن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة).

إن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة، أمران لفظيان وأمران معنويان، فالأمران اللفظيان هما ثبوتي، وسلبي، فالثبوتي أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، والسلبي أن يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون خبراً عنه، وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثالاً واحداً وهو صفة الكلام فإنه إذا قامت بمحل كانت هو المتكلم دون من لم تقم به وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر ونهى ونادى وناجى وأخبر وخاطب وتكلم وكلم ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره على عدم قيامها به وهذا[2] هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو أصح الأصول طرداً وعكساً.

● القاعدة التاسعة عشرة:

(يجب الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات).

إن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات فيؤمنون مثلاً بأنه رحمٰن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلق بالمرحوم فالنعم كلها من آثار رحمته.

---

(1) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ص (168).

(2) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ص (166).

وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى فيقال عليم ذو علم عظيم يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئاً منها، ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضاً مبطلاً[1].

● القاعدة العشرون:

(معاني الصفات معلومة وكيفيتها مجهولة والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة).

إن الأمر في الصفات كلها كما قال الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فمن سأل عن كيفية علم الله أو كيفية خلقه وتدبيره، قيل له: كما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات، فصفاته لا تشبهها الصفات، فالخلق يعرفون الله ويعرفون ما تعرَّف لهم من صفاته وأفعاله، وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله إلَّا الله»[2].

● القاعدة الحادية والعشرون:

(كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً)[3].

ولا يتم الإيمان بالاسم إلَّا بإثبات ذلك كله مثال ذلك في غير المتعدي: «العظيم» فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وما تضمنه من صفته العظيمة.

---

(1) انظر: القواعد الحسان، ص (110)، الفتاوى السعدية، ص (11).
(2) انظر: طريق الوصول، للسعدي، ص (8).
(3) لمعة الاعتقاد، شرح ابن عثيمين، ص (22).

مثال ذلك في المتعدي: «الرحمن» فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وما ترتب عليه من أثر، وهو أنه يرحم من يشاء[1].

أسماء الله غير محصورة بعدد معين[2]. والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[3]. وما استأثر الله به في علم الغيب لا يستطيع أي مخلوق حصره، ولا الإحاطة به.

● القاعدة الثانية والعشرون:

(باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، ولا منتهى بها»[4].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان: 27].

ومن أمثلة ذلك أن صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: 22].

وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [سورة البقرة: 210].

وقال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [سورة الحج: 65].

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج: 12].

---

(1) انظر: لمعة الاعتقاد، ص (23).
(2) لمعة الاعتقاد، شرح ابن عثيمين، ص (22).
(3) رواه أحمد (1/ 394، 452)، الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (199).
(4) القواعد المثلى، ص (21).

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: 185].

فَنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها فلا نقول إن من أسمائه الجائي[1] والآتي والآخذ والممسك والباطش والمريد والنازل ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به»[2].

● القاعدة الثالثة والعشرون:

(دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام).

وهذه القاعدة من أجَلِّ القواعد وأنفعها وتستدعي قوة فكر، وحسن تدبير وصحة قصد، والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني، فإذا فهمتها فهماً جيداً، ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها وما يشترط لها، وكذلك فكر فيما يترتب عليها ويتفرع عنها وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكر وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الخوض في المعاني الدقيقة.

فإن القرآن حق ولازم الحق حق وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق ذلك كله حق ولا بد.

ومثال ذلك: الرحمٰن الرحيم، تدل بلفظها على وصفه بالرحمة، وسعة رحمته فإذا فهمت أن الرحمة التي لا يشبهها رحمة، وهي وصفه الثابت، وأنه أوصل رحمته إلى مخلوق، ولا يخل أحد من رحمته طرفة عين، عرفت أن هذا الوصف يدل على كمال حياته، وكمال قدرته وإحاطة علمه، ونفوذ مشيئته وكمال حكمته لتوقف الرحمة على ذلك كله، ثم استدللت بسعة رحمته على أن

(1) «الجائر» كذا بالأصل، وهو خطأ فاحش، والصحيح «الجائي».
(2) القواعد المثلى، ص (21).

شرعه نور ورحمة، ولهذا يعلل الله كثيراً من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه، ولأنها من مقتضاها وأثرها[1].

● القاعدة الرابعة والعشرون:

(أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها).

وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها وتفسير الاسم منها بغيره، ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله، وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص فله من صفة الإدراكات العليم والخبير دون العاقل الفقيه والسميع والبصير دون السامع والمبصر والناظر.

ومن صفات الإحسان البر الرحيم الودود، دون الرفيق الشفوق ونحوهما، وكذلك العلي العظيم، دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارىء المصور دون الفاعل الصانع المشكل والغفور العفو دون الفوح الساتر، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري علي نفسها منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه فتأمل ذلك فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون[2].

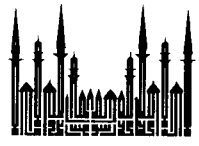

(1) انظر: القواعد الحسان (32).

(2) انظر: بدائع الفوائد. ص (168).